

الحلقة العاشرة

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن مثل الزرع الذي ينمو لوحده. وهذا يشير إلى أن بشارة الخلاص المفرحة لا بد أن تنتشر، وأن ملكوت الله سيمتد، بواسطة عمل روح الله القدوس في قلوب البشر.

كل منا يرغب أن يحصل على أجر نتيجة أتعبه. وكل منا يود أن يحصل على مكافأة ما، نتيجة جهد يبذله أو مشروع ينجزه. وعندما يحصل المرء على أجر نتيجة أتعبه، أو على المكافأة يفرح ويُسِر. حول هذا الموضوع العملي الذي يمس حياة كل واحد منا، تحدّث المخلص يسوع المسيح بهذا المثل فقال:

« فَإِنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ يُشَبِّهُ رَجُلًا رَبَّ بَيْتٍ خَرَجَ مَعَ الصُّبْحِ لِيَسْتَأْجِرَ فَعَلَةً لِكْرَمِهِ، فَاتَّفَقَ مَعَ الْفَعَلَةِ عَلَى دِينَارٍ فِي الْيَوْمِ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى كْرَمِهِ. ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ الْتَّاسِعَةِ وَرَأَى آخَرِينَ قِيَامًا فِي السُّوقِ بَطَّالِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا إِلَى الْكْرَمِ فَأَعْطِيكُمْ مَا يَحِقُّ لَكُمْ. فَمَضَوْا. وَخَرَجَ أَيْضًا نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ ظَهْرًا. ثُمَّ نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ الظَّهْرِ، وَفَعَلَ كَذَلِكَ. ثُمَّ نَحْوَ السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ بَعْدَ الظَّهْرِ خَرَجَ وَوَجَدَ آخَرِينَ قِيَامًا بَطَّالِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا وَقَفْتُمْ هَهُنَا كُلَّ النَّهَارِ بَطَّالِينَ؟ قَالُوا لَهُ: لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ. قَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا إِلَى الْكْرَمِ فَتَأْخُذُوا مَا يَحِقُّ لَكُمْ.

فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ قَالَ صَاحِبُ الْكْرَمِ لَوَكِيلِهِ: ادْعُ الْفَعَلَةَ وَأَعْطِهِمُ الْأَجْرَةَ مُبْتَدِئًا مِنَ الْآخَرِينَ إِلَى الْأَوَّلِينَ. فَجَاءَ أَصْحَابُ السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ وَأَخَذُوا دِينَارًا دِينَارًا. فَلَمَّا جَاءَ الْأَوَّلُونَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَكْثَرَ. فَأَخَذُوا هُمْ أَيْضًا دِينَارًا دِينَارًا. وَفِيمَا

هُم يَأْخُذُونَ تَدْمَرُوا عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ قَائِلِينَ: هُوَ لَاءِ الْآخِرُونَ عَمَلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ سَاوَيْتَهُمْ بِنَا نَحْنُ الَّذِينَ احْتَمَلْنَا ثِقَلَ النَّهَارِ وَالْحَرِّ! فَأَجَابَ وَقَالَ لَوَاحِدٍ مِنْهُمْ: يَا صَاحِبُ، مَا ظَلَمْتُكَ! أَمَا اتَّفَقْتَ مَعِيَ عَلَى دِينَارٍ؟ فَخَذَ الَّذِي لَكَ وَادَّهَبَ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هَذَا الْآخِيرَ مِثْلَكَ. أَوْ مَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَفْعَلَ مَا أُرِيدُ بِمَا لِي؟ أَمْ عَيْنُكَ شَرِيرَةٌ لِأَنِّي أَنَا صَالِحٌ؟» وَهنا علق المسيح قائلاً: « هَكَذَا يَكُونُ الْآخِرُونَ أَوْلِينَ وَالْأَوَّلُونَ آخِرِينَ، لِأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ » (بشارة متى ١٠: ٢٠ - ١٦). فماذا قصد المخلص المسيح بهذا المثل؟

علينا أن نلاحظ أولاً: أن ربَّ العمل أعطى جميع العمال الذين دعاهم ديناراً واحداً لكل واحد منهم. بالرغم من أن بعضهم قد عمل لساعة واحدة فقط. وهذا يؤكد أن عطية نعمة الله هي واحدة للجميع، وأنه لا يوجد فرق بين إنسان وآخر في ملكوت الله، إذ أن الجميع متساوون.

ونلاحظ ثانياً: أن ما حصل من تدمر في هذا المثل على رب العمل، يعود للطبيعة البشرية، التي تفرق بين إنسان وآخر. وبحسب المنطق البشري هذا صحيح، لأن البعض يظنون أنهم في مرتبة أسمى، أو أنهم أعظم من الآخرين لأنهم قضوا وقتاً أطول في خدمة المسيح. لكن نعمة الله لا تعمل بحسب هذا المنطق.

ونلاحظ ثالثاً: أن الذي يختبر خلاص الله في اللحظات الأخيرة من حياته، سيحصل على عطية نعمة الله نفسها التي حصل عليها الآخرون من قبله. إذ أن لا أحد يستحق الغفران عن خطاياهم والحياة الأبدية، لكن الجميع هم بحاجة إلى نعمة الله نفسها التي تقبلهم، وتغسل ذنوبهم، وتوهبهم الحياة الأبدية. ولنا في مثال اللص المصلوب، الذي تاب وهو على عتبة الموت، أكبر مثال. وهو الذي قال للمسيح الذي كان معلقاً إلى جانبه على الصليب: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدُوسِ» (بشارة لوقا ٢٣: ٤٢-٤٣)

إن هذا يؤكد أن نعمة الله تشمل الجميع، حتى أكثر الناس شراً، واعتاهم خطية. وأن كل إنسان مهما كانت خطاياها عظيمة، فانه على استعداد لكي يرحمه ويهبه خلاصه. وأن الله يقبل البشر الذين يأتون إليه في اللحظة الأخيرة. ولهذا قال المسيح أن الآخرين سيكونون أوليين، وأن الأولين سيُنظر إليهم كالأخريين.

مستمعي الكريم، إذا كنت تشعر بثقل خطاياك الكثيرة؟ وإذا كنت تظن أن الفرصة قد فاتتكَ بسبب عمرك الكبير؟ فإن هذا المثل الذي قصّه المخلص المسيح يؤكد لك أن الفرصة لم تفتك بعد. وأن نعمة الله عظيمة جداً، وقادرة أن تشملك بمحبة الله وخلصه، ومهما كانت خطاياك كبيرة.

هل تعلم مستمعي أن الله قد أرسل المسيح من السماء وهو كلمته الأزلي لهذه الغاية بالذات؟ أي لكي يعلن نعمته ومحبه لنا نحن البشر الخاطئة؟ ولهذا مات المسيح على الصليب، لكي يكفر عن ذنوبنا، وليغدق علينا نعمة الله العميقة، وليظهر لنا محبه العظيمة. فمهما كانت خطاياك كبيرة وثقيلة، فإن آمنت بموت المسيح البديلي عنك على الصليب، فإن الله سيغفرها لك، ويجعلك إنساناً جديداً بكل معنى الكلمة. وتصبح من أولاد الله، وتستحق بالتالي الحياة الأبدية. فهل هناك من نعمة أعظم من هذه؟

ولهذا كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل إلى المؤمنين قائلاً: « **اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ... لِأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخْلِصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ** » (أفسس ٢: ٤-٥، ٨-٩). أجل، أن محبة الله عميقة، ونعمته غنية جداً. لكن علينا نحن أولاً أن نلقي بنفوسنا على نعمة الله، فيحیی عندها نفوسنا من الموت الروحي، ويهبنا عطية الخلاص المجاني الكامل. فلما لا تأتي مستمعي إلى الله واضعاً خطاياك عنده، وملقياً رجائك على نعمته الغنية، فنتال غفران الله، وتحظى بالحياة الأبدية؟